المنهاج المدرسي*
القواعد ـ النصوص

ميريام هيمي
ترجمة الطاهر لوصيف
جامعة الجزائر2

الملخّــص

العلاقة المبنية بين النصوص والقواعد في كتاب القواعد المدرسي المسمّى "قواعد للنصوص" هي علاقة أحادية الجانب حيث لا تدرج القواعد النصية في الخطاب ولكنها تندمج في النص، فبانخراطها تجعله ينصهر في أصناف الخطاب، ومع ذلك هل سيسمح الحضور المتكرّر للنص أن يكون زيادة إلى ذلك مجرد انعكاس للقواعد؟
وهل سينجح النص في إظهاره للقواعد؟

الكلمات المفاتيح:
الكتاب المدرسي - القواعد المدرسية - النص - الخطاب.

---

* العنوان الأصلي للمقال هو:

MANUEl, GRAMMAIRE, TEXTES.

نشر في مجلة: ELA؛ العدد: 125، 2002؛ ص 97-110. لصاحبته: Myriam Hemmi.

Résumé

La relation qui s'établit entre les textes et la grammaire dans le manuel de grammaire scolaire "une grammaire pour les textes" est une relation unilatérale dans laquelle la grammaire n'intègre pas le texte dans son discours mais s'intègre dans le texte. En habitant le texte, la grammaire le dissout dans les catégories du discours; cependant la présence récurrente du texte va-t-elle permettre à celui-ci d'être davantage qu'un reflet de la grammaire? Le texte va-t-il réussir à mettre en scène la grammaire?

Mot clés:
Manuel scolaire - grammaire scolaire - texte - discours.

Abstract

The relationship that is established between texts and grammar in the textbook grammar "grammar for texts" is a one-way relationship in which grammar does not integrate the text into its discourse but is integrated into the text. In inhabiting the text, grammar dissolves it in the categories of discourse; However, will the recurring presence of the text allow the text to be more than a reflection of grammar? Will the text succeed in staging the grammar?

Keywords:
Scholar textbook - scholar grammar - text - discourse.

حسب المؤلفين فإن كتاب "قواعد للنصوص" يجعل من النصوص هدفا أوليا. لقد تخطى هذا المنهاج المخصص لتلاميذ السنة السادسة في المتوسطات الفرنسية حدود الجملة. إن الإبقاء على هذا المبدأ طوال كل المنهج الذي هو كتاب القواعد يبدو صعبا ومنه فهل سنرى تناوبا بين المقاربة الجملية وتلك النصية وكيف يعمل النص؟ ما هو دور القواعد؟

وكيف يرتبط الواحد بالآخر في هذا الشيء الذي هو المنهاج؟

1.النص: لقد تم الاحتفاظ بقواعدالنص التي ظهرت في سنوات 60: الميكانيزمات التي تبين ما لم تستطع قواعد الجمل أخذه بعين الاعتبار وبخاصة تراكيب الجناس النحوي وكذا المعجمي، بالإضافة إلى علاقات الأزمنة الفعلية وكذا الظرفية زيادة على الروابط المنطقية أو الخطابية وكذا تلك الخاصة بالانتقال داخل النص.

ولكن دراسة أدوات الربط أو التكرار في نص ما، هل تعبر حقا "قواعد نصية"؟ وهل الحضور المستمر للنص في الكتاب المدرسي يعطي هذا الأخير اسم "كتاب القواعد النصية"؟

الحضور المستمر للنص

يحتوي الكتاب المدرسي على دراسة الكثير من الخطابات المختلفة التي يُفتتح كل جزء منه بنص ويجوب النص كل المناهج؛ فهو يظهر في بداية الدرس وأثناء التمارين التطبيقية ودروس القواعد وينظم فضاء المنهاج بحضوره الدائم.

ويتعلق الأمر بنص منفصل في بداية الدرس، ومعزول في صفحة داخل إطار مزينّ يحددّه. كما أن وضوحه جد هام، ويكوِّن شكل النص في بداية الدرس فمن الصعب أن يتجنّب التلميذ النص ممّا يسمح له بالتعرف السريع عليه.

يكون النص منظّما في إطار ملوّن وجميل ويكون مقروءا بشكل جيّد فهذا أمر مهم، كما أن مضمونة يظهر جليا ممّا يسمح للتلميذ بالتعرف على محتواه.

التعايش بين النص والقواعد: تتابع للتوسعات والتقلصات بحركة متموجة

تقديم النص هو تقديم ودراسة دقيقة لوضعية التواصل، فالملاحظة والتفكير في مفرداته تُعطينا فكرة عن أصل الكلمة وكيفية الاشتقاق منها، كما أن دراسة الأزمنة تُعطينا الوقت الذي كتب فيه النص وأيضا ندرس الفعل والجملة البسيطة، والمركبة، وتنظيم النص، ونوعه، ومجاله.

هذه الحركة الدائمة المنفتحة مع النص والمنغلقة على الجملة حيث تكون الكلمة عبارة عن ذهاب وإياب تفتح لنا النص على مصراعيه، من الكلمة إلى الجملة في هندسة نرغب تفكيك أجزائها واحدا بواحد، يُسهل علينا تحليلها وفهمها. النشاط الأوّل المتبع هو فصل عناصر النص ودراستها عنصرا عنصرا، ومرة أخرى دراسة الشكل والمضمون والوظائف المكتسبة.

النص: عرض الوحدات الدالة

النص في بدايته هو عبارة عن معالجة بيداغوجية تسمح بتسهيل ما هو صعب في تقديم قواعد اللغة، ومصطلحاتها وشكل ومفرداتها.

- التحليل النحوي يساهم في معالجة النص وفي اكتشاف عناصره مثلما هو موجود في أي كتاب نحوي تقليدي.
- النص هو عرض لكل أنواع الخطابات وهو موجّه للقرّاء ويعتبر حاملا لكل المعلومات التي تفيدهم.

كما أن نشاط القراءة (المطالعة) يسمح للتلميذ أن يأخذ بعين الاعتبار من أن كل أجزاء النص مهمّة شكلا ومضمونا وبأنها غير معزولة عن بعضها ولكنّها محاطة بإطار نصي يحمل معنى.

عند تحليل اللغة، يتصور التلاميذ معنى النص ومجاله، فالقواعد تفصل العناصر لكي يتم تحليلها، أما النص فيجمعها في إطاره.

كما نجد في تمارين الملاحظة المقترحة بعض الضمائر؛ وهي الضمائر التي تعوض بعض الأسماء ومن خلالها يعرف التلاميذ ما هو الضمير الذي يعوّض ذلك الاسم

أو ذلك الشيء.

النص: حضور متواز مع الوصف النحوي فانصهار فيه

أ- في الجزء "اللغة وسيلة تواصل" قُدمت اللغة في وضعيتين للتواصل في نهاية الكتاب وهما: الحديث والقصة، وهما نشاطان يسمحان لنا بمعرفة العلامات الدالة على الراوي (المرسل) والقارئ (المرسل إليه)؛ فالكتّاب يهتمون بالنص ولغته وعلاقة المتكلم والمستمع من خلال حوار شيق بينهما.

ب- "من الكلمة إلى النص" يقدّم النص في مجمله مفردات كثيرة مثلما نجدها في القاموس تكون بوحداتها القاعدة الأساسية لأي نص كما يقدّم الكثير من الأزمنة مثل الماضي والمستقبل.

ت- "من الجملة إلى النص" هذا الجزء يحلّل الجمل البسيطة والجمل المركّبة، الجمل الاسمية والفعل والوظائف التي تلعبها في النص ومنها تكون العلاقة بين القواعد والنص.

في إطار هذه الدراسة هناك ملاحظتين، واحدة عن سجلات اللغة والأخرى تندرج في إطار الزمان والمكان؛ الملاحظة الأولى هي دراسة نحوية للجملة الاستفهامية، وبالعكس، البحث عن الأزمنة يسمح بملاحظة الجمل وزمن تأليفها.

في نص "نزهة الشبح" كل سؤال يعالج أنواع الوسائل المستعملة والتنظيم الزمني للأحداث المتسلسلة، كما يدرس التقسيم الزمني للنص.

ويلاحظ التلميذ من خلال النص الإطار الزمني والمكاني، مراحل القصة، الأزمنة المستعملة، كما يكتشف الكلمات واللّغة ومختلف وضعيات القصة.

يأخذ التلميذ بعين الاعتبار الوقت المستعمل والمكان ويتصوّر الأحداث في إطار حقيقي، كما يتعرف على العلامات اللّغوية التي تُظهر له الوظائف اللّغوية والنّحوية في إطار بيداغوجي سهل وممتع.

التقسيم الزّمني والمكاني للنص، يمكّن التلميذ من ترجمة النّص من خلال قراءته

لـه وتخيّـل مختلـف أحداثه.

عندمـا نقـرأ نصـا، يُمكننـا تحديـد أفـكاره مـن خـلال محتـواه وبالتحديـد عنـد قراءتنـا لنـص نسـتطيع معرفـة كاتبـه، طبيعتـه، نيتـه في الكتـاب ونعـرف التداخـل بـين مختلـف نصوصـه المكتوبـة.

هـذا الكتـاب النّحـوي يوجّـه التلميـذ بمجموعـة مـن الأقسـام (الأجـزاء) مـن المسـتوى البسـيط إلى المسـتوى الأكـثر تعقيـدا.

الرجوع إلى الـمفردات

القواعد المرجعية: يستطيع التلميذ أن يميز بين مختلف عناصر النص.

الاختيـار الدقيـق للسـياقات: المتكلـم العـادي يختـار نصوصـه بدقـة ولغـة سـهلة وممكنـة.

يسـتطيع الكاتـب أن يبـدأ قصتـه بـــ: «ذات مـرة» في «قديـم الزمـان» وتكـون خياليـة وتاريخيـه بغـرض التنويـع.

ث- تنظيـم النـص ومعرفـة نوعـه: يمكـن للتلميـذ معرفـة محتـوى النـص والغـرض منـه؛ وهـو مجموعـة عنـاصر متكاملـة تكـون في مجملهـا قصـة تحتـوي العديـد مـن القواعـد والجمـل، وترتيبهـا يعطـي للنـص معنـى أكـثر وضوحـا مليئـا بالمفـردات الجميلـة.

دراسـة النـص هـي دراسـة لغتـه ودراسـة كلماتـه ومصدرهـا وأصلهـا، واكتشـاف العلاقـات المتداخلـة بـين مختلـف عنـاصره.

معرفة نوع النص مثلا: مقال صحفي أو رسالة.

اسـتغلال النـص يمكّـن التلميـذ ويسـاعده عـلى معرفـة الكثـير مـن الكلـمات ومعانيهـا وخاصـة الكلـمات المكتوبـة بخـط عريـض.

هـذا النـوع في النّصـوص يمكنّنـا مـن دراسـة الكفـاءات، وتنظيـم عناصرهـا ومعرفـة مختلـف المصطلحـات المسـتعملة.

النص هو دعوة للقراءة

"القراءة هي ترجمة للعالم ولكنّها ليست ترجمة فعلية، بل مجرد رؤية أخرى للعالم". هي ليست ترجمة فعلية ولكنها تنظيم مستعمل من طرف التلميذ لكي يدخل للنص ويفهمه بطريقته الخاصّة، فيصبح بذلك النص وسيلة معارف وعلوم يمكن للتلميذ من خلالها تحليل العالم عن طريق مخيّلته الواسعة.

النصوص المستعملة والمختارة في الكتاب موجّهة جميعها للتلميذ بها الكثير من الشخصيات، ولغتها مختارة تسرد قصصا كثيرة.

هذه النصوص مهمة جدا؛ لأنها تُشعر التلميذ أنّ هناك علاقة بينه وبين الكاتب وبين بقية القرّاء، فيصبح التلميذ بذلك مترجما آخرا لتلك النصوص ويتبع مسار القراءة.

النص هو ظاهرة مادية ووسيلة للتواصل ويعتبر مشروعًا لغويًا لكاتب ما، وقواعده تمكّن التلميذ من فهمه.

النص ذريعة للتحليل

اللغة مادة شفهية منظمة، قابلة للتفكير والاستعمال، لها شكل ومعنى لا بد أن تكون مقروءة، وتجعل التلميذ سعيدا بقراءته فتكون لديه رغبة وشهية كبيرة لقراءة كتب أخرى.

تكون المصطلحات سهلة ومنفصلة ومصنفة في إطار وفي مجال واضحين ليكون النشاط المفضل لدى التلميذ (القراءة).

النص: مخزون وانفتاح على العالم

النص: مخزون أو خزّان الكلمات، تنظيم نحوي وهو قابل للترجمة، يفتح مجالات كثيرة وشهيتنا للقراءة ومعرفة نهايات القصص، وقصص أخرى لنفس الكاتب وهو بالتالي انفتاح على العالم.

النص: مقطع من النص

النصوص لا تقدم مقدمات ولا نهايات وإنما هي حلقات متتابعة تسمح بتحليل اللغة من أجل اكتساب مفاهيم نحوية وأساسية.

التواصل اللغوي ظاهرة معقّدة، فمن خلال الرواية مثلا، لا يستطيع التلميذ تصور البداية ولا النهاية ويصعب عليه الدخول في النص وترجمته، لهذا السبب لا بد أن يكون اختيار الرواية دقيقا وسهلا.

لفهم النص ونوعه وصفيا أو قصصيا لا بد أن يكون هناك وصف أو سرد واضح بشكل جيّد مليئا بالمعاني، وأن يكون قصيرا لا يتجاوز 20 سطرا (12-35) سطرا.

النص: باعتباره وسيلة تعليمية: يسمح للتلميذ بالمعرفة والعمل بها وإبداع طرق أخرى للقراءة (مثلا: النص القصصي أو النص الوصفي أو الشعر)، والرغبة في القراءة والشرح من أجل فهم أكثر وتحليل يمكّنه من الإبداع.

النص: منبع للتلميذ- القارئ

عند التلميذ: تمكنّه القراءة من اكتساب كفاءات لغوية كما تكسبه رغبة وشهية كبيرة للقـــراءة، وتنمي عقله وتمتّعه.

2. القواعد (النحو): التعايش بين النص والقواعد

تقديم العديد من النقاط النحوية مثل الماضي والحاضر والمستقبل تمكّن من دراسة الأزمنة المختلفة، كما أن دراسة الاسم والفعل والضمائر وأدوات الربط تبيّن لنا وظائف النّحو واللغّة.

هذا التنظيم النّحوي واللّغوي في المدارس يفتح وضعيات مختلفة للتواصل وقواعد بها الكثير من المعاني والتعابير.

تدرس قواعد الجملة والفعل وأدوات الربط وحروف الجر وعناصر الجملة الاسمية والفعلية وأنواع الجملة إذ يستطيع التلميذ من خلالها معرفة زمن الجملة وبالتالي معرفة الزمن الذي كتب فيه النص، فكلمة «الآن» معناها الحاضر، وبتقديم الأوقات

الثلاث: الماضي والحاضر والمستقبل يستطيع التلميذ بذكائه تحليل زمان النص.

فالقواعد هي دراسة لشكل الكلمة وهي رؤية واضحة للجملة وعلامات اللغة ومعانيها، وهي علم وفن قديم.

القواعد: وضوح شامل للنص

الحديث عن النص هو الحديث عن موضوع فيه الكثير من الدراسات، فلغة الإنسان النحوية تشبه لغة الكاتب انطلاقا من المعنى والمواضيع ومجال النص.

في (GPT) لا يختفي النص نهائيا في المادة النحوية، فهو مرئي وقابل للتحليل النحوي والمنطقي لأنه يظهر على شكل نشاط قابل لإعادة كتابته من جديد (GPT :39)؛ فالقواعد مدمجة في أي نص وضمنية.

نجد في نص (David et Olivier) بأن المفعول به وبعض قواعد اللغة والمبني للمعلوم والمجهول قد فجّرت النص وأفرغته من فائدته النصية مع أنها تحمل قصة معيّنة.

القواعد: العمود الفقري للمعرفة وأساس النص

رغم أنها مفقودة في التواصل الشفهي، لكنها موجودة في كل قصة مكتوبة وفي كل حوار مكتوب وفي التمارين التطبيقية، فالقواعد هي جامعة لعناصر النص ومنظّمة لها لفهم جيّد له، فقد اخترقت جميع النشاطات في الكتب.

بين الرسومات الكاريكاتورية BD والنص الحجاجي هناك مجموعة من النصوص المتشابهة مثلما هو الحال في هذه المؤلفات: "رسائل طاحونتي" و"أساطير البحر"؛ وهي مجموعة قصص بشكل هندسي متكامل، أصبح من خلالها النص وسيلة تجعل من التلميذ مبدعا، مستعملا طريقته في فهم نصوص أخرى.

القواعد: الكتاب هو الذي يفتح مجالا للدروس من خلال نصوصه والمتضمن الكثير من القواعد والتمارين، هذه القواعد ليست نصيّة في حد ذاتها بل هي قواعد مصنوعة لغرض ذلك النص وفهمه بصورة أوضح، وتأليف كتاب نحوي

يعني العمل على اللغة ووظائفها.

وظيفة القواعد هي العمل على تحسين وضعيات التواصل المختلفة (العبارات وقواعد النص)، وهي تضع العلاقات بين التأليف والتعليم المنظّم.

وهي بذلك تجعلنا نتعلم القواعد بشكل دقيق وتحليل عناصر النص، ونعرّف القواعد إذن: لفهم نص معيّن لابد من توفره على قواعد معيّنة تجعله واضحا وقابلا للقراءة.

المراجع

- ADAM, J.-M. «Textualité et séquentialité. L' exemple de la description».

Langue Française, 74, 51-72. Paris, Larousse.

-___, 1999. Linguistique textuelle. Des genres de discours aux textes. Paris, Nathan.

- BOUTET, J. 1994. Construire le sens. Berne: Peter Lang.

- BRONCKART, J.–p. 1996. Activité langagière, textes et discours. Lausanne, Delachaux et Niestlé.

-___, 1985. Le fonctionnement des discours. Un modèle psychologique et une méthode d'analyse. Neuchâtel, Paris, Delachaux et Niestlé.

- CHARAUDEAU, P. 1994. Grammaire du sens et de l'expression. Paris, Hachette Éducation.

- CHAROLLES, M. «introduction aux problèmes de la cohérence des textes». Langue française, 38, 7 - 41.

- COIANIZ, A. 1996. Communication et conflits d'interprétation. Montpellier III.

- COMBETTES, B. 1983. Pour une grammaire textuelle. La progression thématique. Bruxelles-Paris. De Boeck, Duculot.

- ECO, U. 1985. Lector in fabula. Paris: Grasset.

-___, 1990. Les limites de l'interprétation (LI). Paris, Grasset.

Études de linguistique appliquée, n° 118, Paris, Didier Érudition. 2000.

- FLAHAULT, F. La parole intermédiaire, Paris, Le Seuil, 1998.

Le français dans le monde, numéro spécial : «Le discours: enjeux et perspectives», Paris, Hachette, juillet 1996.

- GENETTE, G. 1979. Introduction à l'architexte, Paris, Seuil.

- HALTÉ, J.-F. «L'écriture dans les instructions officielles» in Histoire de l'enseignement du français et textes officiels. Didactique des textes, n° 9.

- JEANDILLOU, J.-F. 1997. L'Analyse Textuelle. Paris, Colin. Cursus.

- KLEIBER, G. 1994. Pronoms et Anaphores. Louvain, Duculot. Langages nº 117, Les analyses du discours en France. Paris, Larousse. 1995.

- MAINGUENEAU, D. 1997. L'Analyse du discours. Paris, Hachette, nouvelle édition.

-___, 1996. Les termes clés de l'analyse du discours. Paris, Seuil, Coll. «Mémo».

-___, 1993. Pragmatique pour le discours littéraire. Paris, Dunod.

- MOIRAND, S.1990 . Une grammaire des textes et des dialogues. Paris, Hachette.

- PEYTARD, J. MOIRAND, S. 1992. Discours et enseignement du français. Les lieux d'une rencontre. Paris, Hachette.

- RASTIER, F. 1996. Texte et sens. Paris, Didier.

- Revue Pratiques, nº 77, mars 1993 «Écriture et langue».

- Revue Pratiques, nº 101-102, mai 1999 «Textes officiels et enseignement du français».

- Revue les Temps Modernes, nº 246, Nov. 1966.

- VARGAS, C. 1999. Grammaire pour enseigner. L'énoncé, Le texte, la phrase. Paris, A. Colin.

- WEINRICH, H. 1986. Grammair Textuelle du français. Paris, Didier-Hatier.